

نظرية الاختيار العقلاني في الانحراف والجريمة Rational Choice Theory in Crime and Deviance

نظرية الاختيار العقلاني (Rational Choice Theory) هي إطار نظري يفترض أن الأفراد يتخذون قرارات عقلانية بشأن ارتكاب الجرائم من خلال موازنة التكاليف المتوقعة مقابل الفوائد المتوقعة أي أن الجريمة سلوك مقصود وهادف
هذه النظرية امتداد لفكر الكلاسيكيين كما سيزاربييكاريا (Cesare Beccaria) وجيريميبنثام (Jeremy Bentham)، اللذين افترضا أن البشر كائنات عقلانية تسعى إلى تحقيق أقصى قدر من اللذة (المنفعة) وتجنب الألم (العقاب). لكن تطبيقاتها الحديثة تستند على العامل الاقتصادي لـ (غاري بيكر (Gary Becker) عام 1968، والعامل الإجرامي لـ (ديريك كورنيش Derek Cornish ورونالد كلارك (Ronald Clarke) 1986 .

الفكرة الأساسية عند Gary Becker

"الأفراد يقررون ارتكاب أفعال إجرامية بناءً على تحليل التكلفة والفائدة. يتم مقارنة عوائد الجريمة بالعقاب المتوقع (مرجحاً باحتمالية القبض) وبالتكلفة البديلة للجريمة. ومن ثمة رطز"بيكر" على الدوافع الاقتصادية التي تميل بكفة الميزان للمجرمين المحتملين إما نحو الأنشطة غير المشروعة أو الأنشطة المنتجة.

الفكرة الأساسية عند كورنيش وكلارك... "العقلانية المحدودة"

أن المجرمين يسعون إلى تحقيق منفعة لأنفسهم من خلال سلوكهم الإجرامي. وهذا يستلزم اتخاذ قرارات واختيارات، مهما كانت عقلانياتها بدائية (rudimentary) و تكون مقيدة بحدود الوقت، والقدرة، وتوفر المعلومات ذات الصلة. أي أن المجرم يقوم بعملية تقييم مبسطة تعتمد على المعلومات المتاحة له في اللحظة، وخبراته السابقة، والظروف المحيطة به .

خصوصية الجريمة (Crime-Specificity)

من أهم إسهامات "كورنيش وكلارك" هو التأكيد على أن القرارات الإجرامية ترتبط بنوع الجريمة . فالاعتبارات التي تؤثر على سارق أجهزة كمبيوتر محمولة تختلف تماماً عن اعتبارات من يتسبب في حريق متعمد أو جاسوس صناعي . كما أن الدوافع تختلف بين المجرمين أنفسهم فسارق مدفوع بالحاجة المالية يختلف عن مدمن مخدرات يسرق ليشترى جرعه .

تطبيقات نظرية الاختيار العقلاني " الوقاية الظرفية"

برز تأثير النظرية في تطوير الوقاية الظرفية من الجريمة. إذ تفترض هذه المقاربة أنه إذا كان المجرم يتخذ قراراً عقلانياً، فيمكننا تغيير المعادلة من خلال تعديل البيئة المباشرة للجريمة لجعلها أقل جاذبية .

نقد النظرية

— افتراض العقلانية المفرط

يرى النقاد أن النظرية تبالي في افتراض العقلانية لدى المجرمين. فكثير من الجرائم، خاصة جرائم العنف والعاطفة، تُرتكب في لحظات غضب أو تحت تأثير المخدرات والكحول، حيث تكون القدرة على اتخاذ قرار عقلائي ضعيفة للغاية أو معدومة. كيف يمكن لشخص ثمل أو غاضب أن يجري تحليل تكلفة وفائدة؟

— تجاهل العوامل الهيكلية

تتجاهل النظرية إلى حد كبير العوامل الاجتماعية والاقتصادية الأوسع التي تدفع الناس نحو الجريمة، مثل الفقر، البطالة، نقص التعليم، والحرمان الاجتماعي. بالنسبة لشخص عاطل عن العمل ويعيش في فقر مدقع، قد يبدو أن "لا شيء يخسره"، مما يجعل تحليل التكلفة والفائدة مشوهاً وغير عادل.

— صعوبة القياس

كيف يمكن قياس "الإثارة" أو "المكانة الاجتماعية" التي قد تكون دوافع غير مادية للجريمة؟ كيف يمكن قياس التكلفة النفسية للوصم الاجتماعي؟ هذه العوامل غير قابلة للقياس الكمي تشكل تحدياً أمام النموذج.

— الرد على الادعاءات

يجيب مؤيدو النظرية بأن "العقلانية المحدودة" هي افتراض أكثر واقعية. فهم لا يدعون أن المجرمين يتخذون قرارات مثالية، بل أنهم يتخذون قرارات هادفة بناءً على ما يرونه في اللحظة. أما بالنسبة للفقر والعوامل الهيكلية، فيمكن دمجها في النموذج كعوامل تؤثر على "تكلفة الفرصة البديلة" و"الاحتياجات"

خلاصة وتقييم

نظرية الاختيار العقلاني تمثل نقلة نوعية في فهم الجريمة، حيث تحول التركيز من دوافع المجرم الداخلية أو أمراضه النفسية إلى عملية اتخاذ القرار نفسها. ورغم أنها لا تستطيع تفسير جميع أنواع الجريمة (خاصة جرائم العاطفة والانفعال)، إلا أنها قدمت إطاراً عملياً قوياً للوقاية من الجريمة. في الختام، تظل نظرية الاختيار العقلاني واحدة من أكثر النظريات تأثيراً في علم الإجرام الحديث، ليس فقط لقوتها التفسيرية ولكن أيضاً لتطبيقاتها العملية الواسعة في تصميم سياسات الوقاية من الجريمة، من تحسين الإضاءة في الشوارع إلى تركيب كاميرات المراقبة وتصميم المباني بطرق تزيد من صعوبة ارتكاب الجريمة.

نظرية أسلوب الحياة اليومية في الانحراف والجريمة

تعتبر نظرية أسلوب الحياة من الأطر النظرية المؤثرة في دراسة الإجرام وعلم الإيذاء. تركز هذه النظرية على فهم كيفية تأثير أنماط حياة الأفراد اليومية على تعرضهم للجريمة أو انخراطهم فيها، وذلك من خلال عدسة "الفرصة" بدلاً من التركيز فقط على خصائص الجاني.

تم تقديم هذه النظرية عام 1978 على يد كل من مايكل هينديلانج (Michael Hindelang)، مايكل جوتفريدسون (Michael Gottfredson)، وجيمس جاروفالو (James Garofalo) في عملهم الرائد "ضحايا الجريمة الشخصية".

تفترض النظرية أن أسلوب حياة الفرد يحدد مستوى تعرضه للظروف الإجرامية، فكلما زاد تعرض الشخص لمواقف خطرة (من حيث الوقت والمكان والأشخاص)، زادت احتمالية إيذائهم بعبارة أخرى يرتكب الأفراد جرائمهم ضمن سياق أنماط حياتهم التي يتشاركونها مع ضحاياهم المحتملين.

الآلية المركزية: "الاحتمالية (Risk)"

ترى نظرية أسلوب الحياة أن بعض السلوكيات ترفع احتمالية تعرض الفرد للإيذاء، ولكنها لا تضمن حدوثه على سبيل المثال:

- التردد على أماكن الترفيه الليلية يزيد احتمالية مواجهة الجناة المحتملين.
- الانخراط في سلوكيات منحرفة مثل السرقة أو التسكع في أوقات متأخرة يرفع احتمالية التعرض للعنف.

خصائص الضحايا وفق النظرية

لا يختار الجناة ضحاياهم عشوائياً؛ بل يميلون إلى استهداف أشخاص تتشابه أنماط حياتهم مع أنماط حياتهم، من حيث العمر، الجنس، الطبقة الاجتماعية، والأصل العرقي وقد أظهرت الأدلة أن:

- الفئة العمرية 15-24 سنة هم الأكثر عرضة للإيذاء العنيف، بينما كبار السن (65+) الأقل عرضة.
- الأفراد غير المتزوجين أو المطلقين لديهم معدلات إيذاء أعلى من المتزوجين، لأنهم يقضون وقتاً أطول في أنشطة خارج المنزل في ساعات المساء.

نظرية النشاط الروتيني (Routine Activity Theory - RAT)

نظرية النشاط الروتيني (Routine Activity Theory - RAT) هي إحدى أبرز النظريات في علم الإجرام البيئي (Environmental Criminology)، وهي نظرية موقفية تركز على ظروف وفرص حدوث الجريمة بدلاً من التركيز على خصائص المجرم أو دوافعه.

تقدم النظرية تحولاً جذرياً في فهم الظاهرة الإجرامية من خلال الرد على سؤال محوري: لماذا وفي أي الظروف تحدث الجريمة؟، بدلاً من السؤال التقليدي: لماذا يرتكب الأشخاص الجرائم؟

تم تطوير هذه النظرية في أواخر سبعينيات القرن العشرين، ولاقت قبولاً واسعاً في الأوساط الأكاديمية والتطبيقية، حيث تُستخدم اليوم في مجالات متعددة تتراوح بين الوقاية من الجريمة، التخطيط الحضري، وحتى مكافحة الجرائم الإلكترونية.

قام بتطوير نظرية النشاط الروتيني كل من لورانس إي. كوهين (Lawrence E. Cohen) وماركوس فيلسون (Marcus Felson)، وهما عالما اجتماع وجريمة أمريكيان. مثلت نظرية كوهين وفيلسون نقلة نوعية في علم الإجرام، حيث وجهت الأنظار من خصائص الجاني إلى دراسة السياق المكاني والزمني للجريمة.

تعريف النشاط الروتيني

يُعرف كوهين وفيلسون النشاط الروتيني بأنه:

"أي أنشطة متكررة وسائدة تلبي احتياجات السكان والأفراد الأساسية، بغض النظر عن أصولها البيولوجية أو الثقافية. و بعبارة أخرى، النشاط الروتيني يشمل جميع الأنشطة اليومية التي نقوم بها بشكل منتظم: الذهاب إلى العمل أو المدرسة، التسوق، زيارة الأصدقاء، ممارسة الهوايات، وغيرها من الأنشطة المعتادة .

الفكرة الأساسية

تفترض النظرية أن الجريمة تحدث عندما تتقارب ثلاثة عناصر في المكان والزمان ذاته.

1. جاني ذو دافع. (Motivated Offender)

2. هدف مناسب (Suitable Target).
3. غياب حارس قادر (Absence of Capable Guardian).

شرح العناصر الثلاثة

الجاني ذو الدافع

- هو فرد قادر وراغب في ارتكاب الفعل الإجرامي، ويمتلك النية الحقيقية للاعتداء على فرد أو ممتلكات.
- هو الفرد القادر والراغب في ارتكاب الفعل الإجرامي. يمتلك هذا الفرد النية الحقيقية للإيذاء، سواء كان ذلك ضد شخص آخر أو ضد ممتلكات.
- المقصود بـ "الدافع": لا يعني الدافع بالضرورة وجود سبب عميق أو مرضي لارتكاب الجريمة. قد يكون الدافع بسيطاً مثل الرغبة في الحصول على المال بسرعة، أو الشعور بالإحباط، أو الاندفاع اللحظي.
- الافتراض الأساسي: تفترض النظرية وجود أفراد لديهم استعداد لارتكاب الجرائم في أي مجتمع. بدلاً من محاولة تفسير "لماذا" هؤلاء الأفراد مجرمون، تركز النظرية على الظروف التي تسمح لهم بتنفيذ رغباتهم الإجرامية.

الهدف المناسب

- أي شخص أو ممتلكات يمكن للجاني ذي الدافع أن يضر بها أو يهددها بأسهل طريقة ممكنة. الهدف المناسب هو الهدف الذي يزيد من احتمالية نجاح الجريمة.
- يمكن تقييم مدى مناسبة الهدف من خلال أربعة معايير تعرف باختصار:
— قيمة الهدف بالنسبة للجاني (مادية أو رمزية)

القيمة

— العوائق المادية التي تجعل الوصول للهدف صعباً (وزن، حجم، قوة) القصور الذاتي

وضوح الرؤية

— مدى وضوح الهدف وتعرضه للملاحظة

الوصول

— سهولة الوصول إلى الهدف من حيث الموقع

غياب الحارس القادر (Absence of a Capable Guardian)

الحارس أي شخص أو شيء يردع الجريمة بوجوده مثل:

- الأصدقاء وأفراد الأسرة.
- حراس الأمن الخاص.
- الشرطة العمومية.
- كاميرات المراقبة.

العلاقة مع التغير الاجتماعي

يفترض كوهين وفيلسون أن تشتت الأنشطة بعيداً عن المنازل والأسر يزيد من فرص الجريمة. لقد فسرا ارتفاع معدلات الجريمة في الولايات المتحدة بين عامي 1947-1974 كنتيجة للتغيرات في مؤشرات مثل:

- ارتفاع نسبة مشاركة النساء في قوة العمل (ترك المنازل دون حراسة).
- زيادة عدد الأسر التي يعولها فرد واحد.
- انتشار الأنشطة الترفيهية خارج المنزل.

العلاقة مع التغير الاجتماعي

أحد الجوانب الأكثر إبداعاً في نظرية كوهين وفيلسون هو ربطها بين التغيرات الاجتماعية الأوسع ومعدلات الجريمة. يرى الباحثان أن تزايد "تشتت الأنشطة بعيداً عن المنازل والأسر" هو المحرك الرئيسي لارتفاع الجريمة في المجتمعات الحديثة.

مؤشرات التغير الاجتماعي

التأثير على فرصة الجريمة	التغير الملاحظ	المؤشر
انخفاض الحراسة غير الرسمية في المنازل خلال ساعات النهار	زيادة كبيرة (خروج المزيد من النساء للعمل خارج المنزل)	مشاركة المرأة في قوة العمل
قلة عدد الأشخاص المتواجدين في المنزل لأوقات أطول	ارتفاع عدد الأسر ذات العائل الواحد	الأسر التي يعولها فرد واحد
زيادة الوقت الذي يقضيه الأفراد بعيداً عن منازلهم، مما يعرض ممتلكاتهم للخطر	انتشار الأنشطة الترفيهية والاجتماعية خارج المنزل	الأنشطة خارج المنزل
خروج المزيد من الناس إلى الأماكن العامة، مما يزيد من فرص التفاعل بين الجناة المحتملين والضحايا المحتملين	زيادة التنقل اليومي	السفر والتنقل

الفكرة الأساسية

كلما زاد الوقت الذي يقضيه الأفراد خارج منازلهم، قلت فرصة وجود حراسة غير رسمية (مثل أفراد الأسرة) في المنزل، وازدادت فرصة التقاء الجناة المحتملين بأهداف مناسبة في غياب الحراسة. هذا التغيير في نمط الحياة هو ما يفسر ارتفاع معدلات الجريمة، وليس بالضرورة زيادة أعداد المجرمين أو تدهور القيم الأخلاقية.

تطبيقات النظرية وتوسعاتها

مجالات التطبيق

نظراً لمرونتها وقوتها التفسيرية، تم تطبيق نظرية النشاط الروتيني على مجموعة واسعة من أنواع الجريمة، بما في ذلك:

- **جرائم الممتلكات:** السرقات، اقتحام المنازل، سرقة السيارات .
- **الجرائم العنيفة:** الاعتداء الجسدي، العنف المنزلي .
- **الجرائم الإلكترونية: (Cybercrime)** تم توسيع النظرية لتشمل الجرائم التي تحدث في الفضاء الإلكتروني، حيث يصبح "الهدف المناسب" هو البيانات أو الحسابات الرقمية، و"الحارس القادر" هو برامج الحماية وكلمات المرور .
- **الاعتداء الجنسي والعنف بين الأقران لدى الشباب:** تم استخدام النظرية لدراسة السلوكيات عالية الخطورة (مثل تعاطي الكحول والمخدرات) التي تزيد من تعرض الشباب للإيذاء .

خلاصة وتقييم

تقدم نظرية النشاط الروتيني إطاراً تحليلياً بسيطاً لكنه قوي لفهم الجريمة. بدلاً من التركيز على "لماذا" يصبح الشخص مجرمًا، تركز النظرية على "متى" و"أين" و"تحت أي ظروف" تحدث الجريمة. هذا التحول في المنظور له آثار عملية مهمة:

1. **الوقاية من الجريمة: (Crime Prevention)** إذا كانت الجريمة تتطلب اجتماع ثلاثة عناصر، فيمكن منعها عن طريق:

- زيادة الحراسة: تحسين الإضاءة، تركيب كاميرات المراقبة، تشجيع المراقبة المجتمعية.
 - تصعيب الوصول إلى الأهداف: استخدام أقوى الأقفال، أنظمة الإنذار، الخزن الآمنة.
 - تقليل قيمة الهدف: تجنب ترك الأشياء الثمينة في الأماكن الظاهرة.
2. التخطيط الحضري: (Urban Planning) يمكن للمخططين الحضريين تصميم المساحات العامة والمباني السكنية بطريقة تعزز الحراسة الطبيعية (مثل تصميم الشوارع بحيث تزيد من التفاعل بين الجيران، وتجنب المناطق المعتمدة والمنعزلة)
3. فهم التغيرات المجتمعية: تفسر النظرية كيف أن التغيرات الإيجابية (مثل زيادة مشاركة المرأة في سوق العمل) قد يكون لها "تكاليف خفية" في صورة زيادة فرص الجريمة، مما يستدعي اتخاذ تدابير وقائية موازية.
- في الختام، تظل نظرية النشاط الروتيني واحدة من أكثر النظريات تأثيراً في علم الإجرام الحديث، ليس فقط لقدرتها على تفسير أنماط الجريمة، بل أيضاً لتوجيهها لسياسات وقائية ملموسة وقابلة للتطبيق.

العلاقة بين نظريتي أسلوب الحياة اليومية والنشاط الروتيني والتكامل بينهما

على الرغم من أن النظريتين تركزان على الإيذاء من خلال تقاطع الجاني والهدف المناسب وغياب الحارس، إلا أن هناك اختلافاً جوهرياً في منهجهما:

نظرية النشاط الروتيني	نظرية أسلوب الحياة	المحور
على الموقف والفرصة الناشئة عن الأنشطة اليومية العادية	على سلوك واحتمالية تعرض الفرد للإيذاء بناءً على نمط حياته	التركيز
وصفي – (Descriptive) يصف الظروف اللازمة لحدوث الجريمة	احتمالي – (Probabilistic) سلوكيات معينة تزيد احتمالية الخطر	المنظور
تفسير كيفية حدوث الجريمة في وقت ومكان محددين	تفسير لماذا بعض الأفراد أكثر عرضة من غيرهم	التطبيق

ومع ذلك، يتفق الباحثون المعاصرون على دمجهما معاً تحت مسمى "نظرية أسلوب الحياة والنشاط الروتيني (Lifestyle-Routine Activity Theory - L-RAT)" نظراً لتكاملهما في تفسير الظاهرة الإجرامية.

نظرية النوافذ المتكسرة في الانحراف والجريمة (Broken Windows Theory)

نظرية النوافذ المتكسرة (Broken Windows Theory) هي إحدى النظريات المؤثرة في علم الإجرام الحديث، وتتبع المدرسة الواقعية اليمينية (right realist) في علم الجريمة. تقدم النظرية تفسيراً للعلاقة بين الفوضى الاجتماعية والمادية (disorder) والجريمة، حيث تفترض أن ترك المشكلات الصغيرة دون معالجة – مثل النوافذ المتكسرة، الكتابة على الجدران، النفايات في الشوارع – يخلق بيئة "مسموحة" للسلوك المنحرف، مما يؤدي في النهاية إلى تصاعد الجريمة الخطيرة.

تمثل هذه النظرية تحولاً في التفكير الأمني من التركيز على مكافحة الجرائم الكبرى فقط، إلى الاهتمام بـ"جودة الحياة" والنظام العام كاستراتيجية وقائية .

قام بتطوير نظرية النواخذ المتكسرة كل من **جيمس كوين ويلسون (James Q. Wilson)** و **جورج كيلينغ (George L. Kelling)**

- **جيمس كوين ويلسون (1931-2012):** (عالم سياسة وجريمة أمريكي بارز، أستاذ في جامعة هارفارد ثم جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس .(UCLA) يُعتبر من أبرز المفكرين المحافظين في مجال السياسة العامة وعلم الجريمة.
 - **جورج كيلينغ (1935-2019):** :عالم جريمة أمريكي، عمل أستاذاً في جامعة روتجرز (Rutgers University) وكان له دور كبير في تطوير استراتيجيات الشرطة المجتمعية.
- الفكرة الأساسية**
الاستعارة المركزية
تستمد النظرية اسمها من استعارة بسيطة لكنها قوية:

"إذا تُرك نافذة متكسرة دون إصلاح، فإن المارة يستنتجون أن لا أحد يهتم، وأن لا أحد مسؤول. قريباً، سيتم كسر المزيد من النوافذ، وسينتشر الإحساس بعدم المبالاة ليُصيب المبنى بأكمله، ثم الشارع، ثم الحي بأكمله.

الفرضية المركزية

تفترض النظرية أن **الفوضى (disorder)** بمختلف أشكالها المادية والاجتماعية – تمارس تأثيراً سببياً **(causal)** على السلوك الإجرامي . وتؤثر الفوضى على الجريمة من خلال آليتين رئيسيتين:

الآلية المباشرة: (Direct Pathway)

ترسل علامات الفوضى رسالة مباشرة إلى المجرمين المحتملين مفادها أن سكان الحي غير مبالين بجريمة، وأن غياب الحماية والمراقبة يجعل المنطقة آمنة لارتكاب الجرائم دون عقاب . يعمل المجرم هنا كفاعل عقلائي يستجيب للإشارات البيئية التي تخبره بضعف الرقابة الاجتماعية .

الآلية غير المباشرة عبر الخوف Indirect Pathway.

- **الخطوة 1:** يشعر السكان بالخوف من علامات الفوضى، ويفترضون أن هذه الفوضى تؤدي إلى الجريمة.
 - **الخطوة 2:** هذا الخوف يجعل السكان ينسحبون من الحياة العامة – يتجنبون الأماكن غير المألوفة، يحدون من تحركاتهم، ويترددون في التفاعل مع جيرانهم.
 - **الخطوة 3:** انسحاب السكان يضعف قدرة المجتمع على **الضبط الاجتماعي غير الرسمي (informal social control)** – أي القدرة الجماعية للسكان على مراقبة وضبط السلوكيات في أحيائهم.
 - **الخطوة 4:** ضعف الضبط الاجتماعي يخلق فرصة أوسع للجريمة.
- تشكل هاتان الآليتان **حلقة تغذية راجعة (feedback loop)** ، حيث تؤدي الفوضى إلى الجريمة والجريمة تزيد الفوضى، وهكذا دواليك، منتجة ما يشبه "الوباء" الإجرامي الذي ينتشر عبر الزمان والمكان .

العناصر النظرية الأساسية

الفوضى (Disorder)

تقسم النظرية الفوضى إلى نوعين رئيسيين:

أمثلة	التعريف	النوع
نوافذ متكسرة، مباني مهجورة، كتابات على الجدران (جرافيتي)، نفايات في الشوارع، أراضٍ خالية غير مستغلة-4	علامات الإهمال المادي في البيئة المحيطة	الفوضى المادية (Physical Disorder)
متسولون، مشردون، شباب عاطلون، سكارى في الأماكن العامة، بغاء، تعاطي مخدرات علني	سلوكيات غير لائقة أو مزعجة في الأماكن العامة	الفوضى الاجتماعية (Social Disorder)

الضبط الاجتماعي غير الرسمي (Informal Social Control)

يشير إلى قدرة سكان الحي على تنظيم سلوك بعضهم البعض بشكل غير رسمي، من خلال:

- مراقبة ما يحدث في الشارع.
- التدخل اللفظي عندما يحدث شيء غير لائق.
- التعاون مع الجيران لحل المشكلات المشتركة.

نقطة التحول (Tipping Point)

تفترض النظرية وجود عتبة أو نقطة تحول، بعدها تتصاعد الفوضى والجريمة بشكل أسي وليس خطياً. عند الوصول إلى هذه النقطة، يصبح الحي عاجزاً عن استعادة النظام دون تدخل خارجي كبير.

الزلاجة المنحدرة للتسامح (Slippery Slope)

كلما تسامح السكان مع الإخلالات الصغيرة، زاد احتمال تحول حيهم إلى بيئة حاضنة للجريمة الخطيرة. لذلك، يجب التعامل مع المشكلات الصغيرة فوراً لمنع هذا الانحدار.

التطبيقات العملية - سياسة "التسامح الصفري"

نيويورك كنموذج تطبيقي

كانت النظرية الأكثر تأثيراً على سياسات الشرطة في التسعينيات، خاصة في نيويورك. في عام 1990، بدأت إدارة شرطة نيويورك (NYPD) بتطبيق سياسة تعرف بـ "التسامح الصفري أو" حفظ النظام ". جوهر السياسة: التركيز على مقاضاة المخالفات البسيطة (مثل التغوط في الأماكن العامة، غسل زجاج السيارات دون إذن، الشرب في الأماكن العامة) كوسيلة لإرسال رسالة مفادها أن السلوك المنحرف غير مقبول، وبالتالي منع تطوره إلى جرائم أكثر خطورة.

وقد شهدت التسعينيات تراجعاً كبيراً في معدلات الجريمة في نيويورك، وهو ما نسبت الشرطة ووزارة العدل نجاحه إلى تطبيق هذه السياسة

النقد :

على الرغم من شعبيتها، فإن نظرية النواذ المتكسرة والنموذج الشرطي المرتبط بها قد تلقيا انتقادات علمية وأخلاقية كبيرة.

— يطرح باحثون مثل رين وآخرين (2022) سؤالاً جوهرياً حول الفرضية الأساسية للنظرية: هل يميز العامة بالفعل بين "الفوضى" و"الجريمة" كبنيتين منفصلتين؟

— **الخلط بين السببية والارتباط (Spurious Correlation)** حيث تفترض هذه النظرية أن العلاقة بين الفوضى والجريمة ليست سببية مباشرة، بل هي زائفة (spurious) بسبب متغير مربك: **الضبط الاجتماعي غير الرسمي**.

ببساطة: الأحياء التي تتمتع بفعالية جماعية عالية هي أحياء نظيفة وآمنة. الأحياء التي تعاني من ضعف الفعالية الجماعية تعاني من الفوضى والجريمة معاً. إذا قمنا بالتحكم إحصائياً في الفعالية الجماعية، قد تختفي العلاقة بين الفوضى والجريمة. في هذه الحالة، تكون الفوضى مؤشراً (Indicator) على المشكلة (ضعف التماسك الاجتماعي) وليست سبباً (Cause) للجريمة.

— **نقص الأدلة السببية القوية (Weak Causal Evidence)** حيث خلصت مراجعة شاملة أجرتها براجا وآخرون (2019) إلى أنه على الرغم من وجود بعض الأدلة لكل من نظريتي النواذ المتكسرة والضبط الاجتماعي غير الرسمي، إلا أن الإجماع بين الباحثين ضعيف والأهم من ذلك، أن معظم الدراسات الحالية لا تثبت العلاقة السببية بطريقة قوية.

— **التحيز العنصري والطبقي (Racial and Class Bias)** حيث يوجد نقد أخلاقي وسياسي جوهري لتطبيقات النظرية، خاصة فيما يتعلق بسياسة "التسامح الصفري". يخشى المنتقدون من أن **صلاحيات الشرطة التقديرية** ستستخدم لاستهداف السكان غير المرغوب فيهم على أسس عرقية أو طبقية، بدلاً من معايير موضوعية تتعلق بالسلوك.

— **تفسيرات بديلة لانخفاض الجريمة في التسعينيات** حيث حتى لو تم قبول أن معدلات الجريمة في نيويورك انخفضت بشكل كبير في التسعينيات، فإن نسبة هذا الانخفاض إلى سياسة "النواذ المتكسرة" أمر قابل للجدل. يشير النقاد إلى أن المدن الأمريكية الأخرى التي لم تتبنى هذه السياسة شهدت أيضاً انخفاضات كبيرة في الجريمة خلال الفترة نفسها وهذا يشير إلى وجود عوامل أخرى أوسع (مثل التغيرات الديموغرافية، الاقتصاد المزدهر، تراجع وباء الكراك) لعبت دوراً حاسماً.

خلاصة وتقييم

تمثل نظرية النوافذ المتكسرة علامة فارقة في علم الإجرام، حيث حولت الانتباه من دوافع المجرم الداخلية إلى الإشارات البيئية التي تشجع على الجريمة. نجاحها العملي في تغيير سياسات الشرطة، خاصة في نيويورك، جعلها نموذجاً مؤثراً.

ومع ذلك، فإن التقييم العلمي المتوازن للنظرية في ضوء الأبحاث الحديثة (خاصة Braga et al., 2019 و Ren et al., 2022) يكشف الآتي:

المحاذير والنقد	الجوانب الإيجابية
الأساس المفاهيمي (التمييز بين الفوضى والجريمة) موضع شك	قدمت إطاراً لفهم كيف تتصاعد المشكلات الصغيرة
الأدلة السببية القوية لا تزال غير مؤكدة	كان لها تأثير عملي كبير على سياسات الشرطة
العلاقة بين الفوضى والجريمة قد تكون زائفة ناتجة عن الفعالية الجماعية	وجهت الانتباه إلى أهمية "جودة الحياة"
تطبيقاتها العملية قد تؤدي إلى تحيزات عنصرية وطبقية	